" تجلـيات أدب المحنة في الشعر الجزائري المعاصر"

أ.عامر رضا

المركز الجامعي ميلة.

ملخص:

يعدّ أدب الأزمة، أو مايسمى بـ"**الأدب الاستعجالي**" من أهم الإنتاجات الإبداعية الجزائرية لكونه أرّخ لمحنة الجزائر التي مرّت بها أثناء العشرية السوداء من تسعينيات القرن الماضي، وما جادت به قرائح الأدباء،والنقاد من تصوير فني واقعي مرير تألمت منه كل شرائح المجتمع الجزائري على اختلاف مشاربهم ومستواهم الفكري من الإنسان العادي إلى نخبة المجتمع.

Résume:

La littérature de la crise, ou ce qu'on appelle « littérature d'urgence » est considérée la production algérienne la plus créative parce qu'elle a présenté la chronique de ce qu' a subi l'Algérie au cours de la décennie noire des années quatre vingt-dix du siècle dernier, et ce que les esprits des écrivains et les critiques ont produit de la description esthétique et réaliste de ce drame, qui a nuit à toutes les couches sociales algériennes de tous les horizons de la vie, de l'élite intellectuelle aux gens ordinaires.

مقدمة:

إنّ الشّعرالجزائري المعاصر بكل حيثياته وطقوسه هو الزخم الذي فاضت به قرائح المثقفين مواكبين به كلّ المآسي، والآلام التي شهدوها أوشغلتهم وأرّقت تفكيرهم، والأهمّ من ذلك كلّه ما تكبده المثقف الجزائري في تسعينيات القرن الماضي من تحدّي وصراع عنيف مع الكتابة والأزمة،والمشهد السياسي الذي انعكس على الواقع المعيش، وعليه كانت المصيبة زخّات تنشر رائحة التعفن الفكري والإقصاء بكلّ أنواعه للمبدع خاصة، فنهض الشعراء من رماد الأزمة

وعمقها للوقوف في وجه المسخ والتقزيم والاضطهاد بشتى أنواعه وأشكاله للكشف عن الحقائق، المواساة وعيش التجربة بمرارتها فكانت«**القصيدة السوداء**» [1] تخوض غمار التأصيل والتأسيس في ظلّ العولمة والحداثة الشعرية ومابعد الحداثة.

وأمام هذا الوضع الذي تشرّب مرارته أبناء الوطن الجزائري ظهر نخبة من الأدباء والنقاد الذين تناولوا هذه الظاهرة بالوصف، والتحليل والنقد في أدبهم، حيث نجد العديد من الشعراء المتمرسين قد هبّوا إلى نظم نماذج شعرية تفسر واقعهم، وتصور مشهد الأزمة على محك الشعر الذي يغلب عليه طابع الحزن تارة والنقد والثورة على الوضع تارة أخرى .

وفي ظلّ الفراغ الثقافي التي أحدثته الأزمة من شتات فكري، وصراع نفسي يتجرع مرارته كلّ ثانية المثقف والمبدع والفنان في انتظار رصاصة غدرٍ تغلق أفواههم للأبد، فكانت حينها المشاهد الدامية تتزاحم على الشعراء رذاذا يتربص بهم في كلّ زقاق وكلّ ساحة، ولعلّ العديد من هؤلاء تناولوا القلم ليلملموا جراح وطنهم، ويواسوا من أصابته رصاصة طائشة، أونالت منه يد الغدر والخيانة، فالأزمة عميقة وجراحها أعظم لمّا طالت آلة الموت والهمجية كلّ صوت رفض الخنوع والخضوع لبقايا أشخاص امتهنوا الخيانة مع الوطن وتمرسوا عليها، وعليه ظهرت نماذج من "**كتابات الأزمة**" التي دارت رحاها بين أقلام الشعراء الجزائريين كـ"**عز الدين ميهوبي، أحمد شنة، أحمد الطيب معاش، يوسف شقرة،**

---

[1] **القصيدة السوداء:** هي القصيدة حداثية تعالج نوع من الشعر ظهر في العشرية السوداء في الجزائر،حيث تضمن هذا اللّون آلام المجتمع الجزائري وماخلفته ظاهرة الإرهاب من نكبات وعنف سياسي خطير على الفرد والمجتمع.

باديس سرار، شارف عامر، سامية زقاري" وغيرهم ممن أطلقوا العنان لقرائحهم في نقل صور مأساة الشعب الجزائري برمته إلاّ أنّ هناك من الشعراء ممن **تأزمت عندهم الكتابة** الشعرية، فبقوا على شرفات المشهد يحللون خيوط المصيبة تدريجيا لعظم المأساة ومصابها الجلل،ومنهم من همّ بالبحث عن متنفس لهذا المأزق الخطير الذي ألمّ بكل طبقات المجتمع وجعل من المثقف الجزائري هدفا للقنص والتصفية الفكرية والتاريخية.

*- أولا.حالة الشعر الجزائري قبيل العشرية السوداء:

يختلف مفهوم الشعر باختلاف المراحل التاريخية والسياسية والاجتماعية التي وجد فيها« فمفهوم الشعر مرتبط بحياة الإنسان،وليس منفصلا عما يجري من تحديد في المفاهيم الفلسفية والفكرية والسياسية والاجتماعية»[1] وقد كان الشعر في العصور الأولى يشمل المعارف الإنسانية المختلفة من حيث أنه قيمة معرفية، وعليه ارتقى الشعر الجزائري المعاصر، تدريجيا وانتقل نقلة نوعية جعلته يحاكي النقد المعاصر من خلال الرموز الفنية والأسطورية، والعناوين المشفرة، والبحث عن المعاني والقيم الإنسانية النبيلة والخلاص من نكبات وصروف الأزمة، خاصة بعد تشيئ الإنسان الذي أصبح رقما في عالم مادي تسيره الآلات، وتغمره البرودة القاتلة لكل الأحاسيس والمشاعر، لتأتي الدوافع النفسية عاكسة لما يعانيه الشاعر من واقع مؤلم نتج عن الكبت الروحي والمادي الذي خلقته أزمة أكتوبر **1988م** السياسية التي عاشتها كلّ شرائح المجتمع،فنتج عن هذا الجنوح خلق نوع جديد من العطاء الفني،والتمرد على الواقع المرير، والبوح بالمعاناة التي يحسها الشاعر، وترجمة لنوازع نفسية داخلية تميل إلى الرفض وتنزع إلى العطاء المتجدد ونتيجة لكلّ تلك المزالق كانت الموضوعات الشعرية

---

[1] أحمد بزون، **قصيدة النثر**، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط 1،996، ص 24.

تصب كلّها في دائرة خطاب الأزمة من معاناة وتشتت وتمزيق للوطن والضياع، والموت اليومي الأليم الذي يتصدر العام والخاص.

ومن هنا لم تعد "**القصيدة السوداء**" في ظلّ الظرف الراهن عملا بسيط التكوين « بل هي نسيج محكم تشكله وتغذيه جملة من العناصر لعلّ أهمها ذاكرة الشاعر وما تجيش به من خزين معرفي ووجداني»[1] ومن هنا كان لا بد على المثقف الجزائري من مواكبة المتغير الزمني للمبدع الذي « يتضمن رؤية متجددة لمفارقات الوجود، على نحو يسهم في تغيير العالم وتغيير العالم يتم بتغيير الإنسان الفاعل فيه»[2]، و هكذا أصبح نظم الشعر في "**العشرية السوداء**" محاولة لتجاوز المألوف وتحولاً مستمراً للبحث عن بريق أمل للخلاص من هذه الأزمة،والتشبث بكلّ معنى يوحي بالأمن والفرجة من هذا الحصار المضروب على الشعر والشعراء، والانتهاكات المشروعة، وغير المشروعة المسلطة عليهما.

حقاً شهد الشعر الجزائري المعاصر زمن العشرية السوداء العديد من انعكاسات الإحباط السياسي الذّي أظهر جيلا ضائعا أو في طريقه إلى الضياع يبحث عن السلم والاستقرار، و يسعى للابتعاد عن الصراع، وهذا ما فتح الباب لسدّ الفراغ الفكري أمام عدد من نخبة الشعراء الشباب ممَّن تعاطى الثقافة عامة والأدب خاصة لأنَّ تلك التيارات الأدبية كانت تمثل حداثة العصر، والبديل الراهن في الساحة الذي يمتلك لغةٍ مدّت جسوراً من خلال ما تنشره قرائح الشعراء، ويصل إلى القارئ الجزائري مشفرا وسط ركام الأزمة الاقتصادية والعوز المادي الذي تحكّم بأبناء هذه العشرية، فكانت المقاهي خير نواد ثقافية لا تكلّف

---

[1] علي جعفر العلاق، **الشعر والتلقي، دراسات نقدية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997،ص131.

[2] محمد لطفي اليوسفي، **في بنية الشعر العربي المعاصر**، سراس للنشر، تونس، د.ط، 1979، ص، 30.

إلا القليل وهي تقدم لهم قراءة مجانية في الصحف المحلية إذ تمرر من خلالها خطابا مشفرا يبحث لنفسه عن التأسيس والمساهمة الثقافية لهول المحنة.

ذلك كله يراه المتلقي الجزائري ويراقبه، فإن قارن الأمر بما تقدمه مطابع بيروت أو القاهرة يجد نفسه بعيداً عن الساحة الثقافية لا يمتلك حضوراً فيها، وهذا ما خلق إحباطات إبداعية في ذاتية المثقفين مرّة أخرى، وربما يعترض أحدهم قائلاً: وهل يختلف جيل المجددين من الروّاد عن جيل شعراء الستينات في الظرف السياسي المحبط والاجتماعي المتخلف والثقافي البائس؟ يكون الجواب : نعم بالروح المعنوية المصرّة على التغيير، هذه الروح لم تكن عند أدباء جيل الستينيات، وهذا ما أدّى بمتذوقي الشعر إلى القول إنَّ هؤلاء الشعراء امتلكوا كمية من الرفض ضد شعرية الرّواد وتمرداً على تجديدهم لا يوازي قدراتهم اللغوية والإبداعية لخلق البديل المطلوب شكلاً ومضموناً من أجل بعث خطاب شعري حداثي قائم على ما هو كائن، وهذا لا يعني حكماً بالسلبية والتهميش لمن سبق في نظم الشعر،بل ماعدا في بعض النماذج الأدبية خاصة في كتابات "عزالدين ميهوبي" الشعرية التي تحررت من قيد التقليد إلى البحث عن هوية الشاعر والمبدع في ظلّ العشرية السوداء، لذلك كان على المثقف الحاذق تفهم دوره حتى يستطيع التواصل مع الآخرين، ومن ثم امتلاك قدرة التجديد في وسط لا ينظر إلى المجدد نظرة موضوعية تحفزه على المساهمة في قضايا أمته من خلال قول الشعر أو إبداعه.

لتأتي الدوافع النفسية بوصفها انعكاسا يعانيه الشاعر من واقع مؤلم نتج عن الكبت الروحي والمادي الذي خلقه الاستعمار في عالمنا العربي،وداخل المجتمع

الجزائري خاصة وصولا إلى أزمة الخطاب السياسي والثقافي، فنتج عن هذا الميل الجنوح إلى خلق نوع جديد من العطاء الفني تظهر فيه الأمة أنّها بدأت تستعيد نشاطها وحريتها، وهذا العطاء الفني المتجدد كان نتيجة ثمرة الثورة، والتمرد على الواقع المرير، والبوح بالمعاناة التي يحياها الشاعر، وترجمة لنوازع نفسية داخلية تميل إلى الرفض وتنزع إلى العطاء المتجدد،ولقد طُرحت قضية شعر المحنة الجزائري الذي عبّر بصدق عن الوضع المتأزم آنذاك لتثير الكثير من التساؤلات حول الحواجز النفسية والوجدانية،ولعلّ السؤال المحير هنا هو: ما الذي يجعل شعر المحنة موضوعاً خالداً للكتابة الأدبية في نهاية تسعينات القرن الماضي ـ بصورة عامة ـ دائم التجدد والتعدد والتلون والتنوع؟ ويزداد هذا السؤال تعقيداً وإبهاماً، وتغدو الإجابة عنه ضرباً من المستحيل؛ عندما تصبح قضية الشاعر الجزائري وشغله الشاغل موضوعاً وحيداً يحفزه دون سائر الموضوعات، خاصة عندما يصبح همًا يوميًا تذوب فيه شتى الهموم الأخرى، ونقطة مركزية في الكون تسبح حولها سائر الموجودات ولا يدركها الشاعر إلا من خلالها، والحديث عن شعر المحنة في أعمال الشعراء الجزائريين يمكن أن يُتناول من زاويتين مختلفتين هما: "**زاوية الموقف الإيديولوجي**، و**زاوية الموقف الفني**"، والواقع أن الفصل بين الموقفين كان من أجل إعطاء نظرية عامة عن دور الشاعر فنيّا، وقدرته على التمثيل لمشهد العنف الدموي، والموقف الإيديولوجي من هذا التذمر الذي يفوح به كلّ ركن من أركان الوطن.

والحديث عن الكتابة الشعرية في الجزائرلا ينفي ما قدمته بقية الأجناس الأدبية بمختلف أنواعها كالقصة، الرواية، المقالة، والمسرحية مما تناول ظاهرة أدب المنحة من الزاوية التي يمكن أن يمرر من خلالها خطاب الرفض، والنقمة

عل الوضع الراهن وقتها، ولكن قبل هذا لنا أن نسأل: كيف كانت ظروف المثقف الجزائري حين كان يكتب ويبدع ؟ لقد كانت نيران الحرب السياسية مشتعلة وكانت التضحيات التي تقدم من أجل إيجاد حل للأزمة تكلف غاليا، ومن الخير أن يبقى الشعر محايدا حتى ينقل وقائع المشهد الدموي كما ينقله الصحفي إلى المتلقي بأمانة وموضوعية ولهذا نجد أن« الأديب مطالب بإبراز حياة مجتمعه وشؤون عصره»[1] كما هي لا كما يجب أن تكون في متخيله الشعري.

***- ثانيا.تجليات كتابة الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر:**

تتجلى كتابة الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر من خلال العديد من النماذج التي عايشت الموقف الأليم، أوعبّرت عن القضية من باب التعليق والتأويل،وهكذا كان شعر"**الحقبة السوداء**" في عمومه يصول ويجول في تبرير واقع الأزمة بين التفسير السياسي والاجتماعي والديني والثقافي والاقتصادي، وفي هذا الصدد كان الشاعر ونظمه جنبا إلى جنب يمارس تحليل هذه المأساة،والتعبير الأمين عن عوالم الواقع ومن هنا كان« للشعر طبيعة ملكية فإمّا تكون له السيادة وإلاّ فإنّه يتناول عنها ببساطة»[2]، لذا كان لابد للشاعر من صوت وسلاح يدافع به عن ضحايا هذا الوضع، فكانت القصيدة مشروع مقاومة من نوع آخر يحمل خطابا ذا طابع فني جمالي يكشف خفايا المصاب الجلل.

---

[1] عمار بن زايد، **النقد الأدبي الجزائري الحديث**، المؤسس الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، د.ط،1991، ص103.

[2] **مجموعة من الأساتذة:** سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين لـ"عبد الله حمادي"، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة،ط، 2001،ص36 .

لقد كان رواد "**القصيدة السوداء**" في تلك الفترة ينشرون بوح أشعارهم على صفحات المجلات والجرائد الجزائرية من جريدة النصر إلى الشروق إلى الشعب وغيرها من الصحف اليومية أوالأسبوعية ففي غياب دور النشر والطباعة أنتج العديد من الأدباء الذين تزامنوا مع هموم الأزمة جلّ دواوينهم التي لم ترَ النور إلاّ بعد عودة دور الطباعة والنشر من جديد، ويعلق "**أحمد شنة**" في تصدير ديوانه "**طواحين العبث**" قائلا: « بعد أن أكملت كتابة ما تبقى من النص،في الأسبوع الأخيرمن عام 1993م، وأجريت اتصالات عديدة بدورالنشر والطباعة لإخراجه كاملا في ديوان واحد،ولكنّ ظروف نشر الشعر والإبداع الأدبي عموما في الجزائر حالت دون تحقيق المراد، فبقي نائما في أدراج مكتبي سبع سنوات»[1]، وحقيقة الأمر أنّ جلّ كتابات الأزمة الجزائرية وحيثياتها كان تأثيرها كبيرا على الساحة الأدبية الشعرية خاصة أن المثقف أصبح رقما مستهدفا أينما وجد وأينما رحل، فكانت الصور الغوغائية لهمجية آلة الموت التي حصدت العديد من أعلام الإبداع الجزائري.

قطعا كانت صور الإبداع الشعري ملاحم تملؤها رائحة الجرم والفناء الأزلي الذي تنوعت طرائق الموت فيه والجاني واحد، بالإضافة لذلك كانت الثقافة بأكملها ضحية للترهيب والإرهاب وجلاديه في كل حين، حيث أغلقت دورالثقافة، وأزهقت أرواح الكثير من مؤسسي الثقافة وشخصياتها، وحتى المهتمين بها وعموما كان الوضع الثقافي مشهدا سوداويا تقتل الثقافة فيه يوميا،

---

[1] أحمد شنه، **طواحين العبث"مذكرات قصيدة من القرن العشرين**" مؤسسة هديل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2000، ص9.

ونسوق في هذا السياق العديد من المشاهد الشعرية التي شخصت عمق الأزمة الجزائرية وهي موزعة على تصورالعنف والجريمة المنظمة وهي كالآتي:

1- <u>المشهد الأوّل "الجزائر في زمن المحنة"</u>:

لم يكن الحال الجزائري المتأزم خفيا عن العام و الخاص داخل الجزائر و خارجها، فبالرغم من كل محاولات التعتيم، إلا أن صورة الوحشية الإجرامية وصلت إلى أبعد الحدود،ونقلت معها صور الحزن و الخوف و الترقب التي عايشها الجزائريون، فالإحساس بالحزن، والخوف من شأنه أن «يجعلنا أكثر قرباً من الوجدان الإنساني العام البعيد عن الأنانية وتضخم الذات وضيق الأفق»[1]، وهذا ما تؤكدّه قصيدة "**مدينتي**" التي عايش فيها المبدع الوضع الخطير بكلّ حيثياته،وهي موقعة بتاريخ نوفمبر1995**م** أي أنّها في عمق الأزمة الجزائرية المريرة، حيث يقول فيها:

"**مدينتــي مورطة**

في حرب لايجوز"

حيث تنتقل فيها حركية التوتر النفسي تدريجيا عبر الأصوات المهموسة التي تعكس رؤية الشاعر للواقع، ونظرته الثاقبة التي تشخص خصوصيته للوضع الراهن الذي عاني من وكزات الدّهر وصروفه كلّ جزائري، ومن هنا فالمبدع له علاقة وطيدة بنصه الأدبي الذي يعد علامة نفسية لحالاته وعليه« الإنسان المبدع لغز» [2] لم تسقط من قلمه حالات الحزن والخوف والتوتر

---

[1] نبيل راغب، **التفسير العلمي للأدب(نحو نظرية عربية جديدة)**، المركز الثقافي الجامعي، مصر، ط1، د.ت، ص131.

[2]Jung, **The Archetypes and the Collective Unconscious**,London,1959, P192 ,193.

والذعر، وغير ذلك من آثار تلك الأحداث المأسوية وأثارها النفسانية على الفرد والمجتمع الجزائري، التي علقت في الذاكرة الجمعية .

وفي الصدد نفسه نجد"**أحمد شنة**"واصفا زمن المحنة، وماآلت إليه الجزائر من مناكب ومآسي تمارس يوميا على المواطن الأعزل العالق في براثن الموت المشروع، فراح الشاعر يلعن مرارة الشتات والتمزق والموت، والدمار الذي أصاب الشعب الجزائري الشهيد طالبا منه البوح والتمرد على واقعه، والتطّلع إلى أمل في الخلاص من وجع المحنة قائلا له:

« تكلّم... بما تستطيع
أمام المدينة مات الربيع
وذابت رموش الصبايا،
ونامت عيون المطر
فلا تحك بعدي لهذا الصقيع
أساطير شعب جريح
ولا تنتظر
أن يعود إلينا القمر »[1]

فقد أصبحت البلاد ممزقة بين فصائل،وألوية متناحرة على مناصب سياسية، وألقاب زائلة يُعتدى فيها يوميا على مصالح المواطن البائس المضطهد في وطنه والفار من الاعتداء الذي يلاحقه، حيث يشير الشاعر"**فاتـح علاّق**" إلى ذلك قائلا :

« هذا الزمن نعل
من كان يؤمن بالهوى قد ظل
من كان يعبد عقله فالعقل ظل

---

[1] أحمد شنه، **طواحين العبث**، ص49.

أو كان يعبد صمته فالصمت تل

قتل الفتى ما أكفره»[1]

وفي هذا المقطع الشعري نجد الشاعر يلعن هذا الزمن الذي أصبح نعلا في نظره،إذ تغيرت فيه كلّ القيم،وماتت جلّ الضمائر،وأصبح الكلّ في غابة الموت يحصد الخراب والدمار الذي أورثه له سماسرة الموت،فلا أحد استطاع أن يستوعب عمق الفاجعة في ظلّ غياب العقل والنزعة الإنسانية التي حلت محلها بوابة الظلام، والغدر لتصبح جميع الأشياء كُفْرًا في نظر الشاعر محطما بذلك جدار الصمت الذي يكابده عوام الناس في كلّ حين.

وعليه أصبحت« مهمة الفنان هي التعبير عن الانفعالات، إنها انفعالاته على أية صُورة من الصور ولن يستطيع أحدُ أن يحكم هل عبرَ عنها سوى من شعر بها، ولو كانت هذه الانفعالات خاصة به ولا تخص أحداً غيره، فلن يُوجد أحدٌ سواه قادرٌ على الحكم بأنه قد عبّر عنها أولاً»[2]، إذن فالفجوة التي كانت تنخر عقول الشعراء ومكنوناتهم تبلورت في الشعر الجزائري لتعطي انطباعا يوحي بالألم، والآه عبر زفرات الصراعات السياسية، والأهوال والنكبات الاجتماعية، ليجعلهم بعدها متجلدين في مواجهة واقع الحياة الذي ينشد نغماً حزيناً صوفيا، ترسله القوافي، فعندما « يحوّل الشاعر مثلا تجربته النفسية إلى قصيدة فإنّه لا يعزل عنها جوانبه الفكرية، ويبقى على الجوانب الانفعالية الجامحة لكي يعبّر عنها وحدها، فإن ما يقوم به الشاعر هو خلط الفكر ذاته في الانفعال»[3].

---

[1] فاتح علاّق، **آيات من كتاب السهو**، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، مطبعة دارهومة، الجزائر، د.ط،2001، ص87 .

[2] نبيل راغب، **التفسير العلمي للأدب (نحو نظرية عربية جديدة)**، ص 135 .

[3] نبيل راغب، **التفسير العلمي للأدب (نحو نظرية عربية جديدة)**، ص137.

2.. المشهد الثاني "استهداف الطفولة البريئة:

لقد استبيحت براءة الأطفال، حيث سجّلت العشرية السوداء العديد من الجرائم في حقهم ممن وثقها التاريخ،أو تجاوزتها الأحداث السياسية وقتها حفاظا على قداستهم وطهرهم ومع هذا فقد شهدت تلك الحقبة مآسي التنكيل والذبح للرضع وبقر بطون الأمهات بهمجية عمياء، وهذا ما تجسده قصيدة **(الطفل)** لـ"**عزالدين ميهوبي**" التي يقول فيها:

« أبي أحكي لي أحجية
نعم حبيبي..
إذن غنّ لي أغنية
ليتني عندليبا
إذن افتح الباب حتى أرى قمر الصحو
أسأله أمنية
أخاف عليك حبيبي
وممّ تخاف؟
من الصحوّ
من لحظة الاعتراف
نعم حبيبي أجلب الكعك لك
سأملأ حينا يديك...
وحينا فمك
سأحمل كلّ الهدايا...
ونام على فرح لن يجيء غدا
أفاق الصبي على دمعة علقت في الزناد
وبقايا أب...

وراح يفتش عن أيّ شيء »[1].

ففي هذا المشهد الشعري نجد الشاعر يصور قصة حوارية بين طفل وأبيه بدايتها الفرح ونهايتها غد يحمل في طياته فاجعة موت الأب ويتم الطفل في هذا الفضاء الدموي،وتتواصل رحلة الموت فوق صمت الاجهادات اللّغوية للقوافي لتنفجر محدثة شرخا، وصرخة مملوءة بالمرارة الفاضحة لتعكس عظمة مصاب المبدع "**عزالدين ميهوبي**" التي شخصت حمما مفعمة بنبرات حزينة ليكون « الشعر هو الدواء لأبشع مرض يصيب الروح أي فساد الوعي» [2]، وهذا حينما يقول:

« ذبحوا الأجنة في البطون
خانوا النساء
سرقوا من الشمس الضياء
خطفوا الصفاء من العيون
زرعوا الدمار
لا فرق بين دم وماء
هم يقتلون
وليس يثنيهم.....أحد »[3]

لقد أوجدت الأزمة السياسية الدمار والاستئصال من ذبح للأطفال الصغار،وقتل للأجنة في البطون وغيرها من الحقائق التي سجلها التاريخ من جهة والنظم من جهة ثانية،وتتراسل أنظمة الخطاب البلاغي على مساحة كبيرة

---

[1] عزالدّين ميهوبي، **كاليغولا يرسم غرنيكا رايس**، دار الأصالة للإنتاج الإعلامي والفني سطيف- الجزائرط1، 2000،ص33 .

[2] نبيل راغب، **التفسير العلمي للأدب (نحو نظرية عربية جديدة)**، ص138 .

[3] عزالدّين ميهوبي، **كاليغولا يرسم غرنيكا رايس**، ص10.

من القصائد السوداء، وإذا احتكمنا إلى ثيمات العديد منها سنجد هذا السيل من الآهات يتربع على طول العديد من القصائد الشعرية،التي تنشد زفرات الغدر بالطفولة في ثنايا الواقع والتنكيل والرفض للآخر،وعليه يقول الشاعر"**أحمد معاش**":

« **هل سمعت قبل هذا من غشوم متجاسر**
يحصد البرعم في حقل الأزاهر
هل سمعتم عن عدوّ ملحد بالله كافر
يقتل الأطفال في عيد بسحات المقابر»[1] .

إنّ الشاعر"**أحمد معاش**" يقيم من ملفوظاته جدلية ترشحت عنها صياغات تتشاكل وتتعالق عبر خطابه الشعري أنساق حياتية تدل على الجرم الذي استهدف براءة الطفولة في غفلة من التاريخ، والزمن والأمن والانكسار والحسرة والآهات التي وثقت اجتراح تاريخي حياتي ضاجّ بالأسئلة وأنظمة الحيرة على الجرم الممارس على هؤلاء البراعم من طرف عدوّ تفنن في أساليب الغدر بالحياة والتباهي بالصراع مع الآخر ومآسي الحياة اليومية واستلاب الذات واندثار القيم الرمزية الحياتية الدالة على مكوّنات الخطاب الإنساني المملوء بالموت لكلّ زهور الحياة.

ومن هذا الأفق وهذه الرؤية السوداء يرسل الشاعر"**عزّالدين ميهوبي**" مرة ثانية زفراته مشاركا بقية المبدعين همهم الأليم في التحسر على تدنيس قداسة الطفولة إذْ يقول:

« **ذات سبت...**
أنشدت "زينب" في موكب أطفال

---

[1] أحمد الطيب معاش، **دواوين الزمن الحزين**، دار الهدى، عين مليلة–الجزائر، د.ط، 2000، ص33.

الحواري "قسـما"

سمعت في آخر الشارع طفلا أخرس

الصوت يغني"فاشهدوا"

قلبه المبحوح ينز ألـما...

ويكت "زينب" »[1] .

وتتواصل أزمة المبدعيين في تشريح القضايا الحزينة التي مرتّ بها كلّ شرائح المجتمع ليسلط الشعر على مسألة استهداف النساء التي كانت من أهمّ البؤر التي تشاكلت فيها المأساة مع مثيلتها الطفولة، وبشاعة الموقف الرهيب الذي مكنّ من الاطلاع على معالم الفناء والدمار الذي مهد لبتر الحياة برمّتها.

3..المشهد الثالث"استهداف النسـاء:

تمضي الشاعرة "**سامية زقاري**" في رحلة الموت، ومقتربات الغياب وأنساق الحزن من خلال المشهد التشكيلي الشعري لتجربة الشاعرة المريرة واصفة مأساة جزائر الاستقلال، لتبوح بجراح الأنثى مواسية الأنثى قائلة لها:

« فآه وآه وآلاف حرقة آه متى دفنها

إلى كم سيبقى البلاء؟

أمن صلب غادر يعمّ بأرضي الفناء؟

فسحقا إذا مارغبت بحكم

ويمنطق سارتر الغناء..» [2].

إنَّ حلم الشاعرة ينطلق من قلقها الوجودي في أسطرة الذات في المعنى وتوهج المعنى في وجودية الذات وجماليات الحياة ونظام الأشياء والوجود والحلم والحب، بالأبيات السابقة للذكر تؤكد حضورها الفعّال عبر خطاب مشهدي

---

[1] عز الدين ميهوبي، **اللغة والغفران**، الأصالة للإنتاج الإعلامي، سطيف– الجزائر، د.ط، 2005، ص40.

[2] سامية زقاري، **قصائد معتقة بالأسى**، منشورات رابطة الإبداع،الجزائر، د.ط،2003، ص 44.

جريء في ألفاظه، ومعانيه الدلالية العميقة وخطابه الحياتي وإرهاصات الذات الشاعرة المتوهجة،المشبعة بنبرات الفناء.

وأروع ما تبوح به الأنا الشاعرة تلك العلاقات الثنائية المؤسسة على الاقتراب والابتعاد بين الذات والآخر واستنطاق الحالة الراهنة من خلال أنسنة اللفظة المشحونة بالتمزق، والضياع المستند على **(الذاكرة والحلم والتخيّل)**، وتنهض فاعلية هذا الثالوث في تصدير حالة الجزائر للآخر– المتلقي–عبر تشخيص الفاجعة وأسطرتها التي تبرز جليّة في قصيدة للشاعر:"**صلاح الدين باوية**" بعنوان"**آخر مرثية للوطن**"**الموقعة بتاريخ(1993/03/08م)** حيث يقول فيها:

« صعب عليّ أن أقول جملة مفيدة
في زمن اللاحب والمكيدة
فكم زجرت سادتي عواطفي
الشخصية
فما كتبت لحظة
ماعشت عن حورية
عن العيون الزرق والظفائر
السحرية »[1] .

ويشير هنا الشاعر صراحة للحالة التي آلت إليها المرأة الجزائرية التي أصبحت مستهدفة من قبل سماسرة الموت والفناء، والأدهى من ذلك كلّه أصبحت رقما في زمن الموت واللاأمن.

---

[1] محمد الصالح باوية، **آخر مرثية للوطن**، الثقافة، العدد197، السنة الرابعة، من(03–09) فيفري2003، ص14

كما نجد الشاعر"**عزالدين ميهوبي**" يسعى جاهدا إلى تشخيص عمق المصاب الذي مس المرأة بكلّ حيثاتها ومكنوناتها إذ يقول:

« مرّ عام ولم تلبس الفتيات.

فساتينهن

ولم تتجمل حليمة بالكحل

ولم تر شكل القمر

نسيت لغة الطير

...طعم الخرافة والعاشق المنتظر »[1].

ثم يواصل الشاعر وصف المشهد الدموي للمرأة المحبطة الفاقدة لكرامتها ليقول:

« هنا امرأتان

أخرى تحل ضفيرتها لتعيد

صياغة ضوء النهار

أبصر ت في المرايا دما...

والبقية كانت هنا

إمرأة خبأت في ضفيرتها

وطنا من غبار » [2]

وتبقى حال كلّ النساء الجزائريات مزرية، وملغمة حياتهن بمرارة المنية التي أصبحت تلاحقهنّ من شارع لآخر، ومن مدينة لأخرى في جوّ مشحون بالحقد على المرأة: /**الأم / الأخت/ البنت**، وعليه وجدت المرأة نفسها في كل يوم شهيدة على صفحات الجرائد والمجلات تكابد مصيرها بكلّ أناة.

---

[1] عزالدّين ميهوبي، **كاليغولا يرسم غرنيكا رايس**، ص40.

[2] عزالدّين ميهوبي، **كاليغولا يرسم غرنيكا رايس**، ص57.

4..المشهد الرابع"واقع الثقافة واستهداف نخبة المثقفين:

عموما تضررت الثقافة الجزائرية من الأزمة التي همشت وهشمت كل مقومات الثقافة الجزائرية حيث يقول "**عبد المالك مرتاض**"« والحقيقة أننا نستحي أن نتحدث عن شأن الكتاب في الجزائر،لأنه لا يوجد في العهد الراهن كتاب لا نحن نطبع ونوزع، ونحن نشتري ونستورد(...) نعلم أن إمكانيات الدولة ضعفت وهزلت، هي لا تسمح بتدعيم سعر الكتاب،ولكننا نعتقد أنّ الدولة لا ينبغي لها أن تتملص من مسؤولية الثقافة بهذه الحجة لأنّ هذه الثقافة مادة إستراتجية جدا لامناص للدولة من التكفل بها... »[1]، ويشير"**عمار يزلي**" بأنّ المثقف هو المتضرر الأكبر من وضع الأزمة الراهن فهو ضحية الحسابات الضيقة،وسياسة الإقصاء والتهميش، والمؤسسات الثقافية، وأشبهها من مسؤولي قطاع الثقافة، الممارس على فئة من المبدعين دون آخر كالتغييب، والتقزيم، وغيرها من الأساليب الرديئة الموّجهة على رؤوس المثقفين.

وهذا ما أشار إليه "**الطاهر يحياوي**" حينما قال:«المثقفون والمبدعون في بلادنا ضائعون لا يملكون أي امتياز يشعرهم أنهم على الأقل مهمون في حياة هذا الوطن »[2]،وكما نجد "**كاتب ياسين**" يقول: « فأزمة العشرية السوداء ساهمت في تعطيل جميع الفنون(الشعر،الكتابة، المسرح، السينما الرسم...)هناك فنانون قتلوا وآخرون هجروا البلاد خاصة إلى فرنسا أين استطاع بعضهم تطوير مواهبه »[3]، وعن واقع الثقافة أثناء المحنة التي عصفت بالبلاد نجد الشاعر "**محمد الصالح باوية**" يصف هذا المشهد الحزين قائلا:

---

(1) عبد المالك مرتاض، **واقع الثقافة والمثقفين وأولويات الوزارة** " الشروق العربي"ع 310 المؤرّخ في27 جويلية 2007، ص14.

(2) الطاهر يحياوي، هل تفلح وزارة الثقافة في إقناع مجلس الحكومة بقضايا الثقافة؟،"الشروق العربي"ع310 المؤرّخ في27 جويلية2007، ص15 .

(4) Brahim Hadj Slimane, La Création artistique en Algerie, L émballage, marsa éd 2,2003, (Alger-Paris).

« أيها الآتي إلينا...
مرهقا يطوي المسافة
حاملا حب ووردا
وعلوما وحضارة
لبلادي واكتشافه
نحن هيانا الضيافة
كلّ شيء في بلادي ممكن
إلاّ الثقافة »[1] .

كم نعثر على وصف "**أحمد شنة**" الواقع الأليم الذي آل إليه الشعر فيقول:

« تكلّم... فما عاد للحب أي اعتبار
قتلنا جريا بذنب الفرزدق،
وجئنا لليلى بأحشاء قيس
وبعنا رمال عكاظ،
وبعنا الأغاني
وبعنا القصائد
ولم يبق إلاّ الشعار » [2]

إنّ استهداف الثقافة ورموزها كان من بين أسباب هجرة العديد من مثقفينا في تلك الحقبة السوداء التي طالت العديد الشعراء والفنانين والصحفيين أمثال"**عبد القادرعلولة، وعزالدين مجوبي،وعبد الحق بن حمودة،وبختي بن عودة...إلخ**، وغيرهم من شهداء الفنّ والإبداع ضحاي المأساة الوطنية.

---

[1] صلاح الدين باوية، **آخر مرثية للوطن**، الثقافة، العدد197، السنة الرابعة، من (03-09) فيفري2003، ص14.

[2] أحمد شنه، **طواحين العبث**، ص117 .

وهذا ماجاء على لسان الشاعر"**إدريس بودیبة** بقصيدة بعنوان "**إلى عصفور وهران بختي بن عودة**" التي يقول فيها:

« قتيلا في امتداد النورس المطعون
في عنف أعراس المعاني
حين وراه التراب
كان يجهش بتعاويذ الطيور
يذرف أيقونة الدم النبوي
يرقص الشرق في قلبه
وفي عينيه بلمع شلال المحيطات البهيجة
جفة من صراخ المغنى القديم
اعترت روحه كالعويل
فمد يدا ليفك النشاز
عند اقتراب المساء تسلق قافية من رميم الجسد
تسلقها رشفة من دمه
تسلقها سدرة المنتهى، غابة الأبنوس
معراج الشرارات البهية، تسلقها ودّعها ثم مات »[1]

وبعد أن قتلوا الثقافة والشعر في مهدها انتقلت المنية إلى عالم الصحافة من خلال استهداف نخبة من الأقلام البارزة أمثال" **دحماني خديجة، وإسماعيل يفصح**" وغيرهم وعلى ذلك جادت قريحة الشاعر"**أحمد الطيب معاش**" برثائهم قائلا:

« قل للمليحة في الخمار الأسود * ماذا فعلت لقاتل متعمد؟**
بالأمس(دحماني خديجة) أعدمت * غدرا، بأيدي الظلم دون سؤال**

[1] إدريس بودیبة، "إلى عصفور وهران بختي بن عودة " مجلة الثقافة، العدد118، الجزائر، 2004، ص92.

وبالأمس أيضا غادرت أخت لها * ملفوفة ببراءة الأطفال**
فمضت(مليكة) مثل من لحقت بها * دون الوداع لجيرة أو آل**
واليوم (مقران) مثل من لحقت * ويغيب عنا تاركا لعيال**
بيت(الشروق) يصاب في أبنائه * مثل الجزائر ليلة الزلزال**
فتودع الآكام كلّ لبؤة * وتروع الآجام في الأشبال**
مذا جنى قلم وصوت صادق * حتى يزال بطلقة ونصال**
مذا جنت بنت تجندل غيلة * من أجل قيل ظالم أو قال »**[1]

5..المشهد الخامس"الجانب السياسي للمحنة"

يتجلى الجانب السياسي للمحنة، من خلال ما أشار إليه بعض الشعراء وعلى رأسهم الشاعر"**صلاح الدين باوية**" الذي شخص بعض جوانب المأساة السياسية والتي يقول فيها:

« وما كتبت لحظة
عن وجع الرعية
عن سيدي السلطان...
والمملكة المحضية
عن جنده والغرف السرية
أخاف إن عبّرت
بالشعر عن مواجدي
تغتالني قصائدي
فكلّ ما في وطني يصادر الحرية »[2]

---

[1] أحمد الطيب معاش، **دواوين الزمن الحزين**، ص 64.
[2] صلاح الدين باوية، **آخر مرثية للوطن**،الثقافة، العدد197، السنة الرابعة، ص14.

ويذهب "**أحمد شنة** " إلى نفس ما ذهب إليه من سبقه من الشعراء في تعرية الساحة السياسية وما آلت إليه مشيرا لذلك قائلا:

« تكلّم... لكي أستطيع الوقوف
سأعلن أنّي أؤسس حزبا كبيرا...
وإنّي أبشر قومي..بدين جديد
ينادي بحرق العاصفير فوق الرفوف »[1]

وتتزاحم المشاكل السياسية في جزائر الأزمة إلى أن يقول مرة أخرى"**أحمد شنة**"

« تكلّم...ولاتلعن البرلمان
ولاتدعي... أن أحزابنا زوجة ناشزه
ولاتدعي...أنّ حكامنا جائرون،
وأنّ الجزائر...تمضي إلى سؤدد،
حار فيه الزمان
ولاتدّعي أننا...أمّة عاجزه
فنحن بحمد الإله نعيش التعدد في كلّ شيء »[2]

وفي ذلك نجد "**أحمد شنة**" يحلل الأزمة السياسية في شكل "**مونولوج** " ذاتي فهو مرة ينهى عن لعن البرلمان، ومرة أخرى ينهى عن لعن الأحزاب ووصف الحكام بالجور، وهو يحاول بأسلوب التهكم والسخرية من هذا الوضع المتردي خاصة مسألة التعدد السياسي التي وصلت إليها الجزائر حينذاك إذ بلغت الأحزاب السياسية في زمن الأزمة ثمانين حزبا وعلى كثرتهم ازداد

---

[1] أحمد شنه، **طواحين العبث**، ص44.

[2] **المصدر نفسه**، ص65.

الوضع تدهورا وانقساما بين فئات الوطن الواحد،ومن خلال ماسبق ذكره كانت الأزمة السياسية التي عاشتها الجزائر برمتها تمثل هاجسا حقيقيا كاد أن يعصف بالبلاد فيما لاتحمد عقباه،ومن المعروف أنّ الشعراء تحملوّا مشقة كبيرة من الهموم، والصراعات التي دفع أغلبهم ثمنها من حياتهم، واستقرارهم النفسي في تحمل العبء الثقافي الدموي بكلّ أطيافه،والخطاطة الآتية توضح الدلالة العامة لشعر الأزمة الجزائري المحصور بين ظاهرتين متمازجتين هما: – **البنية القهرية، والبنية الانفتاحية**– وسيطرتهما على الطابع العام للثقافة والمثقف الجزائري.

أ– يستقبل القهر في المضامين التالية:

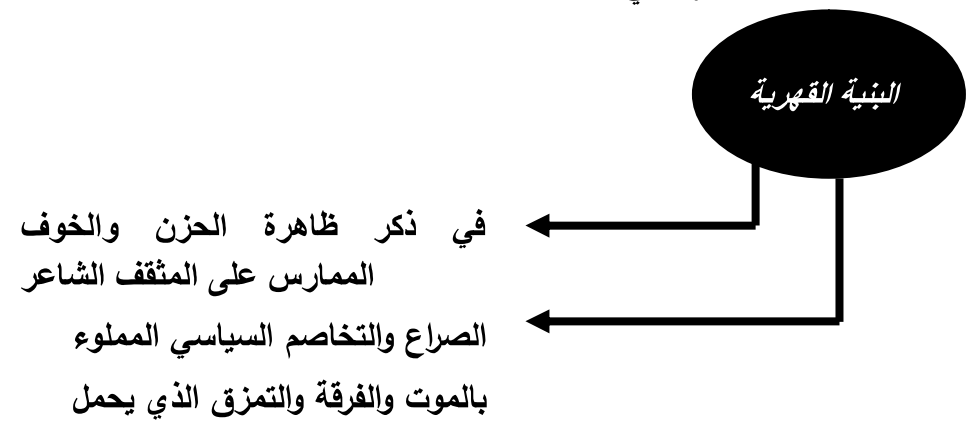

ب – يستقبل الانفتاح في المضامين التالية:

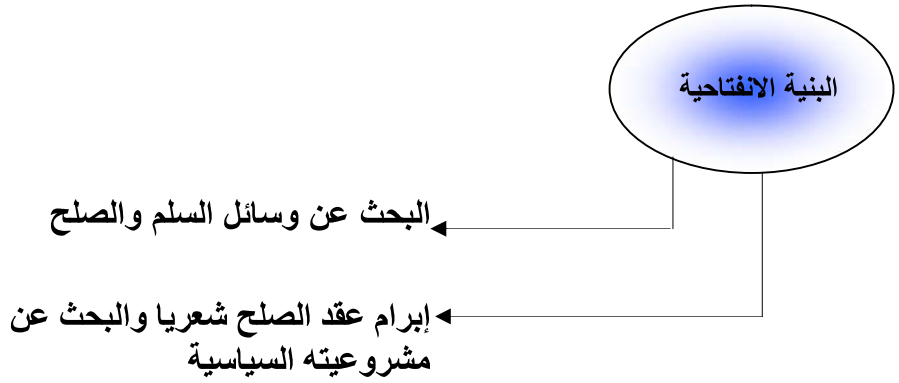

خاتمة

*** نتـائـج الدّراسـة:**

لقد عكست القصيدة السوداء المحنة الجزائرية بصدق فني ومشهد واقعي أصيل نابع من تجربة الشاعر الجزائري وما عانه من أزمة على مستوى الفنّ(**الكتابة الشعرية**)، وعلى مستوى الذات كفرد منخرط وسط محيط كبير من الآلام، التي باتت تحاصره من كلّ جانب، حتى وصل المبدع إلى الثورة على تلك المشاهد التي أصبحت تخنق قريحته الشعرية، فكانت القصيدة السوداء هي الملاذ الأخير الذي بعث فيه الأمل واستعاد بذلك الشاعر الجزائري جرأته الفنية والشعرية نحو واقع مرير ،يدفع به إلى المنية كل حين، في وطن يراهن الكل عليه بالدمار، والخراب لذلك عدّ الإبداع الشعري بمثابة نافذة يتنفس من خلالها المبدع تلك الهموم التي كانت تنخر جسد الشعب الجزائري المستهدف، كقربان للخلاص من الموت التي باتت تطارد حتى المثقف والشاعر على السواء، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من الأسس ارتكزت عليها القصيدة السوداء، واستحضرتها داخل النص الشعري الجزائري المعاصر وهي كالآتي:

1- عمق الجرح السياسي والثقافي الذي أصاب كلّ شرائح المجتمع لتؤسس لواقعية مطعمة بمرارة الشتات والتمزق، واتساع الهوة بين الوعي الممكن والسائد ومن ثم الشعور بالغربة والتيه والضياع وهو مصير أغلب الجزائريين الذي عايشوا الحدث اليومي.

2- التصوير الفيزيولوجي الصادم لمشاهد العنف والاغتيال الفكري اليومي عبرالوسائل السمعية والبصرية.

3- معظم شعراء المحنة غلب عليهم التسجيل والتوثيق التاريخي لكلّ مشاهد الواقع والأحداث التي عجزت السلطة وقتها عن البوح بها احتراما لمقدسات

ضحايا المأساة الوطنية من خلال النعي المتواتر للوطن والمواطن عاكسا الانكسار ووحشية المحنة الأليمة.

4- نقل مشاهد الموت الأليم الذي تجرع مرارته على وجه الخصوص المثقف وخاصة الأديب الجزائري المعاصر الذي يبحث عن روح التعبير والتأسيس لفكر جديد يبحث عن منفذ للخروج من دائرة الجلادين الذي شرّعوا موت الثقافة والمتاجرة بها وسحق المثقف وإذلاله حتى أصبح متسولا نظيفا يتطفل على مقاهي البؤس والألم ناشرا غسيل آلامه من هم وكبت وتغريب من طرف سماسرة الموت، وفي ظلّ هذا البوح المشحون برائحة الموت .

5- تحول الكتابة الشعرية عند شعراء المحنة إلى نوع من الصراخ المستمر ليكسّر جدار الصمت الذي طال أمده، والتنديد والتنكيل بالجريمة ومقترفيها والمطالبة بالعدالة لمتسببي هذا الجرح الدامل وقد امتطى الشاعر وقتها فرس البحور ليمارس قتلا رمزيا مشروعا ضد أولئك الذين يمارسون العنف ضده لهذا كان« الشعراء هم علماء النفس الأوائل الذين سهلّوا لمن جاء بعدهم من علماء العصور الحديثة اكتشاف أقانيم النفس المعتمة،(...)، فحياة الإنسان النفسية مزيج مُعقَّدٌ من الوعي اللاوعي، تكمن بينهما القوة العازلة أي الكبت»[1] ومن هنا كان واجبا على الشعراء التخفيف من وطأة المصيبة والتنفيس عن هموم المجتمع بالنظم،والتأريخ لتلك الأحداث والمشاهد التي مست كلّ شرائح المجتمع الجزائري كوثيقة إبداعية لتلك المرحلة المأسوية.

---

[1] عبد القادر فيدوح، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص377 .

قائمة المصادر والمراجع:

أ- قائمة المصادر:

1- **أحمد الطيب معاش:** دواوين الزمن الحزين، دار الهدى، عين مليلة–الجزائر، د.ط، 2000.

2– **أحمد شنه:** طواحين العبث"مذكرات قصيدة من القرن العشرين" مؤسسة هديل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2000.

3- **سامية زقاري:** قصائد معتقة بالأسى، منشورات رابطة الإبداع،الجزائر، د.ط، 2003.

4- **عزالدّين ميهوبي:** كاليغولا يرسم غرنيكا رايس، دارالأصالة للإنتاج الإعلامي، سطيف–الجزائر،ط1، 2000.

5- عزالدين ميهوبي: اللعنة والغفران،الأصالة للإنتاج الإعلامي، سطيف– الجزائر، د.ط،2005.

ب- قائمة المراجع:

1- **أحمد بزون**:قصيدة النثر، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط 1،1996 .

2- **إدريس بودريبة:** "إلى عصفور وهران بختي بن عودة " مجلة الثقافة، العدد118،الجزائر،2004.

3- **الطاهر يحياوي**:هل تفلح وزارة الثقافة في إقناع مجلس الحكومة بقضايا الثقافة؟،"الشروق العربي" العدد310 المؤرّخ في27جويلية2007.

4- **محمد الصالح باوية:** آخ رمرثية للوطن،الثقافة، العدد197السنة الرابعة، من(03–09)فيفري2003.

5- **مجموعة من الأساتذة:** سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين لـ"عبد الله حمادي"،منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة، ط، 2001.

6- **محمد لطفي اليوسفي:** في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، تونس، د.ط، 1979.

7- **عبد المالك مرتاض**:واقع الثقافة والمثقفين وأولويات الوزارة " الشروق العربي"، العدد310 المؤرّخ في27 جويلية2007.

8– **عبد القادر فيدوح:** الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 1998.

9- **علي جعفر العلاق:** الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

10- **عمار بن زايد**، النقد الأدبي الجزائري الحديث،المؤسس الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، د.ط،1991.

11- **نبيل راغب**، التفسير العلمي للأدب(نحو نظرية عربية جديدة)، المركز الثقافي الجامعي، مصر، ط1، د.ت.

12- **فـــاتح عـــلاّق**: آيـات مـن كتـاب السـهو، منشـورات إتحـاد الكتـاب الجزائريين،مطبعـة دار هومة،الجزائر ،د.ط،2001.

13- **Brahim Hadj Slimane :**La Création artistique en Algerie, L émballage ,marsa édition 2 éme trim,2003, (Alger-Paris).

14- **Jung :**The Archetypes and the Collective Unconscious,London,1959.